

## التسامح والإعلام: قراءة قيمية متجددة

أ. عبدالله عبدالله

جامعة الشارقة

### Tolerance and Media: Modern Value Perusal

Abdullah Abdullah

University of Sharjah

#### ملخص البحث:

يتناول هذا البحث مفهوم التسامح وأهميته في حياة الأفراد والمجتمعات، ويستعرض أبرز الأخلاقيات التي تناولتها موثيق الشرف الإعلامية المختلفة والمرتبطة بمفهوم التسامح، كما يسعى البحث إلى استنباط أوجه التسامح من التراث الحضاري للمنطقة العربية والإسلامية وتجلياتها في الممارسة الإعلامية المعاصرة. تعتبر هذه الورقة دراسة من المستوى الثاني حيث تم الاطلاع على عينة من الدراسات والكتب المختصة بمجال الأخلاق وأخلاقيات الإعلام وبناء عليها تم استخلاص الملاحظات والنتائج. تم اختيار أول عشرة كتب عشوائياً من مكتبة جامعة الشارقة باستخدام الكلمات المفتاحية التالية "خلق - أخلاق - أخلاقيات الإعلام"، بالإضافة لأول معجم، كما تم استخدام نظرية الدكتور عبدالرحمن عزي "الحتمية القيمية في الإعلام" كإطار للدراسة باعتبارها النظرية الإعلامية الأخلاقية الوحيدة في المنطقة العربية في حدود معرفتنا، بالإضافة إلى مجموعة موسوعة أبي حامد الغزالي "إحياء علوم الدين" باعتبارها مرجعاً هاماً فيما يتعلق بفلسفة الأخلاق الإسلامية. تم الرجوع إلى أول بحثين عبر الإنترنت باستخدام موقع (Research Gate) باستخدام الكلمة المفتاحية Tolerance لربط مفهوم التسامح في المنطقة العربية بنظيره في الثقافة الغربية المعاصرة. استخلصت الدراسة مجموعة من الملاحظات، منها: التسامح ضرورة اجتماعية وحضارية وتراجع هذه القيمة يهدد السلم الأهلي والدولي ويعرقل التنمية، وأن التسامح

يندرج تحت بندين: التسامح مع الخطأ والتسامح عند الاختلاف. استخلص البحث أخلاقيات إعلامية مستوحاة من نصوص التراث العربي والإسلامي يمكن تطبيقها عالمياً لتعزيز التسامح، وهي: احترام المختلفين في العقيدة والديانة، عدم السخرية من المختلفين، اللطف واللين في القول مع الناس كافة، التغاضي عن الإساءة وعدم الرد بمثلها وبمقابلتها بالتسامح، التسامح والتغاضي مع المخطئ، التسامح مع الخصم والتعامل معه بما يجلب المنفعة للبشر عامة، التسامح مع الأقربين وأفراد المجتمع الواحد والتماس الأعذار لهم، عدم الانقياد إلى الغضب والكلام مدفوعاً أو متأثراً به، العفو والتلطف بالقول عند الغلبة والانتصار (في الإعلام الرياضي على سبيل المثال)، والرفق عامة.

#### الكلمات المفتاحية:

التسامح – أخلاقيات الإعلام – الحتمية القيمية في الإعلام.

#### Abstract:

This research deals with the concept of tolerance and its importance in the lives of individuals and communities, and reviews the most important ethics addressed in the various media charters of honor related to the concept of tolerance, and seeks to derive tolerance aspects from the cultural heritage of the Arab and Islamic region and its manifestations in contemporary media practice. This paper is a second level study where a series of studies and books in ethics and media ethics were reviewed and the observations and conclusions were drawn. The study draws a set of observations, including: Tolerance is a social and cultural necessity, and the decline of this value threatens civil and international peace and impedes development, and that tolerance is divided under two items: tolerance when people make a mistake and tolerance with different people.

The research draws media ethics inspired by the texts of the Arab and Islamic heritage that can be applied globally to promote tolerance, namely: respect people with different faith and religion, not to ridicule others, kindness and softness in saying with all people, overlooking abuse and not responding with the same and to meet with tolerance, tolerance with people at fault, to tolerate and deal with the adversary in a way that brings benefit to human beings in general, to tolerate relatives and members of the same society and to seek excuses for them, not to be driven by anger and the speech affected by it, to forgive and be kind when triumph ( in broadcasting of sports events for example), and to be compassion in general.

#### Keywords:

Tolerance – Media ethics - Value determinism theory of media.

## تمهيد:

يعتبر التسامح من أهم القيم التي تقوم عليها الحضارة الإنسانية والمجتمعات البشرية، وفي غيابها فإن المجتمعات تشهد تراجعاً خطيراً على كل الأصعدة والسبل، الأمر الذي قد يصل إلى تفكك المجتمعات وتلك الحضارات، وذلك أمر مشاهد ومثبت عبر التاريخ القديم والحديث.

وفي زماننا هذا، فإن الحاجة لهذه القيمة وتعزيزها تتزايد بشكل مضطرد، وذلك في ظل تقارب المجتمعات عبر وسائل الاتصال الفضائية وشبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، واختلاط الناس على مختلف ألسنتهم وأشكالهم وألوانهم وأعرافهم ودياناتهم في قرية كونية واحدة يتبادلون الأفكار والرؤى والأحلام. خصوصاً وأن الإنسان المعاصر صار متصلاً بغيره من المجتمعات اتصالاً مادياً مستمراً كذلك، فهو يسافر إلى بلاد غير بلاده لأغراض واحتياجات مختلفة، كالدراسة أو التعلم أو السياحة أو التجارة، أو غيرها من الأمور، وذلك يحتم وجود جو من التسامح يمكن الإنسان من التعايش مع الآخر دون تهديد أو أذى أو ضرر.

ولا شك في أن الإعلام يلعب دوراً في التنشئة الاجتماعية والتنقيف وتوجيه الأفراد والمجتمع والاتصال الاجتماعي والعلاقات البينية، لذا سننظر في هذه الورقة البحثية الموجزة في تحقيق الأهداف التالية:

1- النظر في مفهوم التسامح وأهميته.

2- الصعوبات والتحديات.

3- التعرف على أخلاقيات الإعلام المرتبطة بمفهوم التسامح.

4- الوقوف على بعض الأخلاقيات المستمدة من القيم الحضارية للثقافة العربية والإسلامية وفق مفهوم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام.

## أولاً:

أورد ابن منظور في لسان العرب أن التسامح لغة هو الجود، وأن الإنسان إذا جاد وأعطى بسخاء وكرم فقد أسمح، وأن المسامحة هي المساهلة. (سامح، 2017)

والتسامح اصطلاحاً كما جاء في الموسوعة العربية هو "قبول اختلاف الآخرين – سواء في الدين أم العرق أم السياسة – أو عدم منع الآخرين من أن يكونوا آخرين أو إكراههم على التخلي عن ذواتهم". (سامح، 2017)

وعرف الطاهر بن عاشور كلمة السماحة بأنها التساهل في التعامل مع الناس، وذلك في الأمور التي يتعامل الناس فيها عادة بشدة مع بعضهم البعض، ويكون ذلك بالتوسط ما بين التساهل والشدة. (رحماني، 2013)

والمفردة الإنجليزية المرادفة هي Tolerance، وتعني: "صفة وخصلة تتمثل في السماح للناس بالقيام أو الإيمان بما يريدون، حتى ولو كنت لا تتفق معهم". (تعريف Tolerance، قاموس كامبردج على شبكة الإنترنت).

وعرف كيتنج وجان التسامح على أنه التقبل الطوعي والاتجاه الإيجابي والشامل نحو مختلف الأقليات التي غالباً ما يتم تهميشها أو إقصاؤها من قبل الأكتريية. النقيض للتسامح يتمثل في معاداة، إقصاء، أو التحيز ضد أقلية من الأقليات. (جانمات & كيتنغ، 2017)

وعرف فوغت التسامح (جانمات & كيتنغ، 2017) على أنه تعمد الإنسان ضبط النفس عند مقابلته شيء يكرهه أو لديه اعتراضات عليه، أو يمثل تهديداً له، أو تجاه شيء له موقف سلبي منه.

وقد أعلنت الأمم المتحدة عام 1995 عام التسامح العالمي، وتم تحديد يوم 16 نوفمبر من كل عام يوماً للتسامح، وقد جاء في الإعلان العالمي للتسامح ما يلي:

"عزماً على اتخاذ جميع الخطوات لتعزيز التسامح في مجتمعاتنا، لأن التسامح ضرورة للسلام وللاقتصاد وللتقدم الاجتماعي لكل البشر، ولأجل ذلك نعلن:

التسامح هو احترام، تقبل وتقدير تنوع ثقافات عالما، وطرق تعبيرنا المختلفة واختلافاتنا كبشر. يتم تعزيز التسامح من خلال المعرفة، الانفتاح، التواصل وحرية الاعتقاد. التسامح هو التناغم من خلال الاختلاف، وهو ليس فقط واجب أخلاقي، بل إزام سياسي كذلك. التسامح هو الفضيلة التي تجعل السلام ممكناً، وتسهم في استبدال ثقافة الحرب بثقافة السلم. (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 1995)

"التسامح ليس تنازلاً، وليس منحة أو تفضلاً. التسامح فوق كل شيء هو إدراك لحقوق الإنسان ولأسس حريات الآخرين. وليس هناك ظروف تبرر انتهاك هذا المبدأ، والذي يجب أن تتم ممارسته على مستوى الأفراد والجماعات والدول." (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 1995)

"التسامح هو المسؤولية التي تحفظ حقوق الإنسان، التعددية، الديمقراطية وسلطة القانون... (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 1995)

"التسامح لا يعني إضعاف أو التخلي عن إيمان وقناعات الفرد. التسامح يعني حرية الشخص في التمسك بمعتقداته وتقبله تمسك الآخرين بمعتقداتهم. التسامح يعني تقبل حقيقة أن البشر مختلفون في هياتهم، أحوالهم، لغاتهم وكلامهم، سلوكهم ومعتقداتهم، وأن لجميعهم حق العيش في سلام كما هم." (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 1995)

ومن خلال هذه التعريفات جميعها، نجد أن التسامح يشير إلى الرفق مع الآخرين سواء المخطئين أو المختلفين عنا، والتعامل معهم بطريقة إنسانية تحفظ لهم حقوقهم وإنسانيتهم. ولا يعني ذلك بحال من الأحوال إلغاء الاختلاف أو صهر البشر في مجموعة جنسية عرقية دينية سياسية واحدة، فالاختلافات قائمة دائماً وأبداً، إذ لا يمكن أن يجتمع الناس في عرق أو جنس أو لون أو على دين أو فكر أو لسان واحد، بل يكون التسامح من خلال احترام اختلافهم وعدم اتخاذ ذريعة للاعتداء عليهم معنوياً أو مادياً بشكل يؤدي إلى سلبهم حريتهم أو حقوقهم أو الإضرار بهم.

### أهمية التسامح:

ترجع أهمية التسامح إلى الكثير من الأسباب، وإن كان أهم هذه الأسباب هو الحد من النزاعات والحروب والصراعات، والتي تنشب أغلبها نتيجة لغياب قيمة التسامح، ويمكن أن نقسم التسامح إلى قسمين: التسامح مع الخطأ والتسامح مع الاختلاف.

**التسامح مع الخطأ:** لا شك أن الإنسان يخطئ في حياته، ولا ينجو فرد من ارتكاب الخطأ، وذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل ابن آدم خطاء"، والخطأ هو كثير الخطأ، فالأفراد والجماعات والدول معرضة للخطأ دائماً، وبالتالي، فإن عدم التسامح مع المخطئ - سواء أكان الخطأ من فرد أو جماعة أو دولة، في الماضي أو الحاضر - يعني أن يعيش الإنسان في حالة ثأر وانتقام دائمين من الآخرين، وذلك يؤدي إلى نشوب الصراعات بين الأفراد، والحروب بين الدول، واستمرارها، ما يتسبب في موت أعداد كبيرة من البشر واستنزاف طاقات الأفراد والمجتمعات في التدمير والإيذاء، بدلاً من صرفها إلى خير البشر ورفاهيتهم، مما يؤدي إلى تخلف وفقير وتراجع الأمم والمجتمعات غير المتسامحة، وإهدار حقوق أفرادها وتقشي الظلم بينهم.

**التسامح مع الاختلاف:** إن عدم تقبل الإنسان للآخر المختلف عنه، واتخاذ هذا الاختلاف ذريعة للانتقاص منه أو التعدي عليه، فإن ذلك يؤدي إلى تدمير المجتمعات من داخلها، فلا يوجد مجتمع إلا وفيه أعراق وأجناس وألوان وطوائف متباينة، فالاعتداء على المختلف واحتقاره يتسبب في تمزيق النسيج الاجتماعي واندلاع الصراعات والحروب الأهلية التي تؤدي إلى انهيار الحضارة وتخلف المجتمع وتسلط الأمم والمجتمعات الأخرى عليه بنهب ثرواته واستغلال أفراده.

كما أن غياب التسامح بين الثقافات والشعوب والدول المختلفة يؤدي إلى الصراعات والنزاعات السياسية التي قد تتحول إلى حروب عسكرية تكون وبالاً على الإنسان والحضارة الإنسانية جمعاء.

وإقصاء المختلف وسلبه حقوقه وحريته يؤدي إلى تباطؤ المجتمع وعدم استفادته من المميزات الفريدة التي يمتلكها هذا المختلف، وإهداراً لطاقات يؤدي ضياعها إلى تخلف المجتمع وتراجع بين الأمم والشعوب، كما أن الفرد - والمجتمع - غير المتسامح يفوت على نفسه فرص الاستفادة من الآخرين ويحكم على نفسه بالتخلف في عالم اليوم شديد التنافسية.

ثانياً:

بالرغم من الاعتقاد السائد أن الأجيال الجديدة أكثر تسامحاً من الأجيال السابقة، وذلك بفعل التطور الحاصل في التعليم وتطور وسائل الاتصال والنقل وبرامج وحملات محاربة العنصرية، إلا أن الدراسة التي أجراها الباحثان جاناتمات وكيتينغ لا تؤيد هذا الرأي. فقد خلصت الدراسة إلى أن الجيل الجديد من الشباب في بريطانيا أكثر تسامحاً مع التنوع العرقي والشذوذ الجنسي مقارنة بأبائهم وأجدادهم، لكنهم أقل تسامحاً مع المهاجرين مما كان نظرائهم قبل 10 و20 سنة، مما يعني بحسب الباحثين أن الجيل الجديد من الشباب في بريطانيا لم يتخلص من العنصرية لكنه فقط تحول بها إلى فئة أخرى كان أسلافه أكثر تسامحاً معها. (جانمات & كيتينغ، 2017)

وأشار غيرسون ونيلسون إلى أن البرامج التي تحاول زيادة التسامح والانفتاح على الثقافات والأعراف والأديان المتنوعة من خلال التعليم والتعريف بالآخر والتعرض له، هي برامج مستخدمة في التعليم العالي ولها شعبية وتشهد نجاحاً في كثير من الأحيان، لكنها في بعض الأحيان تؤدي إلى نتائج عكسية وتؤدي إلى زيادة في التحيزات (العنصرية) تجاه الآخر. (غيرسون & نيلسون، 2014)

لذا، فإنه وبالرغم من الإعلان العالمي للتسامح في عام 1995 والحملات والبرامج الموجهة لمحاربة العنصرية، فإن التسامح كممارسة يشهد تحديات كبيرة تتمثل في أبرزها برفض المهاجرين والنازحين، والإرهاب الموجه ضد الآخر، وغيرها من الظواهر، مما يؤكد أن تعزيز التسامح ومحاربة العنصرية ليست أمراً سهلاً وتحتاج إلى المزيد من الجهود والتأصيل العلمي والأكاديمي.

### ثالثاً:

الأخلاق جمع كلمة خلق، والخلق هو السجية، وفلان يتكلف بغير خلقه أي يتكلفه (الرازي، 2006، ص. 96)

وإصطلاحاً، هناك الكثير من التعريفات التي تناولت مفهوم الأخلاق، ومنها تعريفها باعتبارها "مبادئ معنوية للحياة واتخاذ القرارات." (ليزلي، 2000، ص. 16).

في حين يحددها البعض بأنها "مبادئ معنوية، معتقدات، أعراف، وقيم يستخدمها الأفراد والمجتمعات لتحديد ما هو صحيح مما هو خطأ." (ليزلي، 2000، ص. 16).

ويعرف هوسمان الأخلاق على أنها "فرع من الفلسفة يتناول المسائل المتعلقة بالصواب والخطأ، والخير والشر." (الدليمي، 2015، ص. 71)، فيما يعرفها جينسين باعتبارها "المسؤولية المعنوية في أن تختار بشكل مقصود واختياري ما يجب أن تتبعه من قيم" (الدليمي، 2015، ص. 71). ويعرف كوهين وإليوت الأخلاق بأنها "ما يجب أن يفعله الإنسان" (صالح، 2014، ص. 57).

تتبع أهمية الأخلاق كعلم وممارسة من عدة نقاط، أهمها، ضرورة السلوك الصحيح لنمو المجتمعات وانتظامها. فإذا كان التعليم يهدف إلى تنمية وتقوية الأفراد، فإن الأساس في ذلك هو تقويم سلوك الفرد قبل أي شيء آخر، من خلال تنمية إحساسه بما هو صحيح مما هو خطأ، أو ما هو مناسب مما هو غير مناسب، مما سيجري عليه الانتظام والاستقرار في المعيشة، ليس للفرد فقط، بل للبناء الاجتماعي بأكمله. (ليزلي، 2000).

فالأمر يشبه الحاجة للنظام في الشوارع والطرق لأجل حركة سير مستقرة ومنتظمة، وذلك من خلال تحديد نطاق السرعة، إرشادات وقواعد ولوحات مرورية، أحزمة الأمان، وغير ذلك من النصائح والقواعد والإرشادات التي تجعل الحركة المرورية آمنة وفعالة. (ليزلي، 2000).

وإذا كانت قواعد وإرشادات المرور تحمي السائق أولاً وتجعل وصوله إلى وجهته آمناً وميسراً، فإنها تحمي مجموع السائقين بالكامل وتزيد كفاءة الحركة المرورية واستخدامها للجميع. وكذلك، فالأخلاق لا تنتج فرداً أفضل فقط، بل مجتمعاً أفضل بأكمله، وعلى جميع الصعد.

ويبقى الاختبار الحقيقي للأخلاق متمثلاً في "كيف نتعامل مع الغريب – ما إذا كنا قادرين على الاعتراف بإنسانية وكرامة الآخر. كلنا مستعدون للاعتراف بكرامة الذين نعتقد أنهم يشبهوننا والتعامل معهم باحترام. الذين نراهم مختلفين عنا هم الذين نميل لمعاملتهم بشكل مختلف". (ليزلي، 2000، ص. 19)، وهذا ما يجعل من التسامح قيمة جوهرية في النظام الأخلاقي برمته.

وفي المجال الإعلامي، تحدد نقابات الصحفيين والمؤسسات الإعلامية مبادئ أخلاقية مختلفة وتطلب من الصحفيين الالتزام بها باعتبارها أخلاقيات المهنة الإعلامية. ولكن ما هي أخلاقيات الإعلام بداية؟

عرف سليمان صالح أخلاقيات الإعلام باعتبارها مبادئ ومعايير تهدف إلى ترشيد سلوك الإعلاميين في تغطياتهم الإعلامية وتوجيههم لمعرفة القرارات التي تتناسب مع وظيفة المؤسسات الإعلامية ومسؤوليتها في المجتمع، بما يضمن حق الجمهور في المعرفة وفي توفير

المناقشة الحرة، مع تجنب الأضرار التي قد تصيب الجمهور أو الأفراد أو المصادر إلى أدنى حد، وبشكل يحفظ كرامة المهنة ونزاهة الصحفيين. (صالح، 2014).

وعرف المشاقبة أخلاقيات الإعلام على أنها الأخلاقيات المرتبطة بمهنة الإعلام والصحافة بأنواعها وأنماطها المختلفة، وهي تشمل ما على الصحفيين من واجبات، وحقوقهم، وطبيعة أعمالهم. (المشاقبة، 2012)

ولأن أخلاقيات الإعلام تشمل الكثير من المبادئ، فسيتم تسليط الضوء في هذه الورقة على المبادئ المرتبطة بمفهوم التسامح فقط، لما للإعلام من أدوار في التنشئة الاجتماعية والاتصال الاجتماعي والعلاقات البيئية، لا سيما في عالم مشرعة أبوابه الشرقية والغربية على بعضها البعض، وإذا كانت الكلمة هي صنعة الإعلامي ومنتجه، فإنها الأساس في نشر كل القيم، ومنها التسامح، أو فإن إساءة استخدام الكلمة قد يؤدي إلى عواقب وخيمة، فالحروب لا تندلع فجأة، بل يسبقها الكلام ويمهد لها:

أرى خلل الرماد وميض نار \*\*\* ويوشك أن يكون لها ضرام

فإن النار بالعيدان تذكى \*\*\* وإن الحرب أولها كلام

فإن لم يطفها عقلاء قوم \*\*\* يكون وقودها جثث وهام

وقد حذر الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس من خطورة الوضع الحالي بقوله إن "خطاب الكراهية ينتشر كانتشار النار في الهشيم في وسائل التواصل الاجتماعي، وعلينا إخماده" (جوتيريس يزور مسجد النور، 2019). لذلك، فإن على الإعلاميين مسؤولية أخلاقية عظيمة تتمثل في إيقاف مد التعصب المتنامي وترسيخ قيمة التسامح بين الأفراد والشعوب، الأمر الذي ناقشته العديد من المواثيق الأخلاقية الإعلامية في مبادئها، والتي يتمثل أبرزها فيما يلي:

1- احترام الثقافات بتنوعها واحترام الذاتية الثقافية لمختلف الشعوب: إذ يجب أن تحترم وسائل الإعلام الثقافات الأخرى بجوانبها المختلفة، وإظهارها بطريقة ملائمة والعمل على حفظها من الاندثار أو الضياع، والاستفادة منها في إثراء الحضارة الإنسانية (صالح، 2014).

2- احترام كرامة الدول والشعوب والأفراد: عدم الإساءة أو التجريح أو السخرية من الأفراد المختلفين أو الشعوب والدول الأخرى واتخاذ اختلافهم غرضاً للسخرية أو الانتقاص أو الحط من شأنهم (صالح، 2014).

3- مقاومة التفرقة العنصرية: عدم التمييز بين الناس على أساس اللون أو العرق أو الأصل القومي أو الدين أو الجنس (أي بين الرجل والمرأة)، فلا يتم تهميش فئة من فئات المجتمع أو التعامل معها بطريقة غير عادلة أو التحريض عليها في وسائل الإعلام (صالح، 2014).

4- عدم التصوير النمطي لأي اتجاه فكري أو سياسي أو جماعة إثنية أو دينية: يجب على وسائل الإعلام أن تحارب الصور النمطية الشائعة عن بعض الشعوب، كالصورة النمطية التي تظهر المسلم إرهابياً أو الإفريقي متخلفاً أو غير ذلك من الصور النمطية (صالح، 2014).

5- عدم نشر أسماء الأحداث وصورهم والتعامل مع الأطفال: فعلى وسائل الإعلام أن تبقى هوية الأحداث مرتكبي الجرائم سرية وذلك حتى لا تغلق أبواب المجتمع أمامهم بعد تأهيلهم (صالح، 2014).

6- عدم نشر أسماء أو صور المحكوم عليهم في أية قضايا عقب انتهاء مدة عقوباتهم، إلا إن كانت هناك مصلحة للمجتمع في ذلك (صالح، 2014).

### ثالثاً:

الأخلاقيات المستمدة من القيم الحضارية للثقافة العربية والإسلامية وفق مفهوم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام: ترى نظرية الحتمية القيمية في الإعلام للدكتور عبدالرحمن عزي أن الإعلام يكون فعالاً ومؤثراً في المجتمع بقدر ما تتمثل رسائله القيم التي تساهم في نهضة المجتمع وأفراده، وأن الثقافة العربية والإسلامية شابها الكثير من التشويه بفعل عوامل الاستعمار وسنوات التراجع الحضاري، إلا أن مصادر الحضارة الإسلامية الأساسية غنية بالقيم الإنسانية التي يمكن أن نستمد منها مبادئ أخلاقية تساعد في توجيه العمل الإعلامي وترشيده بحيث يكون عاملاً في بناء المجتمع والحضارة الإنسانية عموماً.

ويمكن تعريف النظرية من خلال ثلاثة ألفاظ:

1- الحتمية: "يقصد بالحتمية اعتبار متغير واحد أنه المحرك الأساس في تفسير أو فهم أي ظاهرة، والمتغير الرئيس في هذه النظرية القيمة، أما الظاهرة فتخصص الإعلام والاتصال" (عزي، 2011).

2- القيمة: "يقصد بالقيمة الارتقاء، أي ما يسمو في المعنى، والقيمة معنوية وقد يسعى الإنسان إلى تجسيدها عملياً كلما ارتفع بفعله وعقله إلى منزلة أعلى ... القيمة ما يعلو عن الشيء ويرتبط بالمعاني الكامنة في الدين" (عزي، 2011).

3- في الإعلام: "يقصد بذلك رسالة الإعلام بوسائله التقليدية والجديدة" (عزي، 2011).

وينطلق التسامح في التراث الإسلامي والعربي من منطلق أن أساس الخلق كله يرجع إلى الله سبحانه وتعالى، وكل شيء سواه فهو خلق من خلقه، وأن الاختلاف والتنوع في الخلق أمر جاء بأمر الله لتبادل المنافع والاستفادة من الآخر، وأن التنوع هو الأصل وهو سنة الله وإرادته. (رحماني، 2013)

ونجد إشارات من التسامح عند فلاسفة الحضارة العربية والإسلامية مثل ابن رشد الذي نجد في كلامه حثاً على الاستفادة من علوم وحكمة الآخرين وإن كانوا مختلفين في الديانة، فيقبل منهم ما يوافق الحق، ويتم تبيان ما هو غير موافق للحق، ويعذرون. إذ يعتبر ابن رشد أن العلوم لا يمكن أن تكون عملاً فردياً بل هي جهود جماعية وتراكمية، وبالتالي لا بد من الاستفادة من علوم وخبرات وتجارب وحكمة الآخرين. (زهور، 2018)

ومن هذا المنطلق، عدنا إلى بعض كتب التراث في محاولة لاستنباط بعض الأخلاقيات المتعلقة بالتسامح، وما يرتبط به معنوياً في فعل "الكلام"، وذلك في محاولة مختصرة مبدئية تحتاج للتوسع والتفصيل أكثر فيما بعد، ومما وجدنا كان التالي:

1- احترام المختلفين في العقيدة والديانة، وعدم التطاول عليهم، وذلك كما جاء في الحديث الشريف: "ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقتة، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حبيجه يوم القيامة".

فنجد هنا تحذيراً شديداً من الانتقاص من غير المسلم أو ظلمه بأي طريقة كانت، كالإهانة أو الشتم أو التحقير أو التهديد، وغير ذلك من أنواع الظلم المرتبط بفعل الكلام، حيث تم الربط بين الظلم والانتقاص (ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه)، والانتقاص هو أن يعتمد الرجل إلى التقليل من قيمة الشخص أو أن يعيبه أو يسلبه أحد حقوقه بأي طريقة كانت، وذلك من الظلم.

ولا شك أن العنصرية أو الانتقاص من الآخر يعتبر تمهيدا للاعتداء عليه، وربما يصل الأمر في نهاية المطاف إلى الاعتداء على الأرواح، ونجد فيما يتعلق بحرمة دم الآخر أن التحذير أشد، إذ ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله (من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح راحة الجنة). (سليمان، 2017)

2- عدم احتقار الغير أو السخرية من المختلفين (عبدالله، 2015): حيث التواضع واجب وعدم وضع النفس فوق غيرها، حيث على كل إنسان أن ينظر إلى الآخرين نظرة تكافؤ، ولا يسمح لنفسه بأن يستعيب الآخرين أو يهزأ بهم بأي طريقة كانت، وبذلك فإن السخرية أو العنصرية القائمة على أي أساس فهي محظورة "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب".

3- اللطف واللين في القول عند التنازع والنقاش مع الناس كافة: وابتداء الناس بالكلام الحسن (العوضي، العوضي، 2006) كما جاء في الآيات المحكمات: "وقولوا للناس حسناً" و "وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن" و "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بما هو أحسن"، وذلك يؤكد المبدأ السابق في أن الاختلاف لا يبرر الإساءة للآخر أو التطاول عليه جرحاً أو شتماً أو إهانة أو انتقاصاً، بل يكون الحوار وفعل الكلام بأحسن الالفاظ والطفها وأجملها وقعاً في النفس هو الأساس في التنازع والخطاب مع الآخر، وذلك حق للناس كافة على اختلاف ألوانهم ومشاربهم وألسنتهم ومعتقداتهم.

4- التغاضي عن الإساءة وعدم الرد بمثلاً وبمقابلتها بالتسامح والإحسان: وذلك كما ورد في الآية الكريمة "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً"، وذلك أن يصفح الإنسان عن تجاوز الجاهلين بالله والمتطاولين على الإنسان، فالإعلامي لا يبادر إلى الرد على كل من أساء إليه أو إلى مجتمعه أو غير ذلك من انتماءاته، بل يرد الإساءة بالطيب من القول ويطفي فتيل الفتنة في مهدها ولا ينجر للمهاترات والسيء من القول، فكلمة الإعلام تديع بين الناس، وتأخذ طابعاً رسمياً وإن لم تكن كذلك. فالإساءة تأتي من نفس حجب الشر طريق الخير عنها وضلت فالأولى أن يغفر الإنسان ويقابلها بالإحسان لإعادتها إلى رشدها (عبدالله، 2015) ومن ذلك قوله تعالى "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم".

5- التسامح مع المخطئ: وذلك وفق التوجيه النبوي "لا تكونوا عوناً للشيطان على أخطاكم، ولكن قولوا اللهم اغفر له، اللهم ارحمه"، فالمخطئ لا يجب الدعاء عليه أو إهانته أو شتمه أو احتقاره، ومسؤولية عقابه تقع على السلطات المختصة، في حين يكون دور أفراد المجتمع من إعلاميين وعامة أن ينصحوا (دون فضح هوية المخطئ) ويدعوا له ويبيّنوا الخطأ بالحسن من القول، لا بالتعنيف المنفر له ولغيره من الخاطئين.

فالتسامح لا يعني ترك المخطئ على خطئه، أو إقراره عليه، أو ترك الحق والصواب لأجل التقارب معه، بل نصحه بأسلوب لطيف يحفظ له احترامه وحقوقه ويجعله أقرب من الحق، ومن واجب المخطئ أن يتسامح مع ناصحه فيسمع منه ويعذره على معارضته ويكون لنا سهلاً معه ولا يتعالى عليه، فإن لم يستجب فهذا لا يلغي حقوقه وحريته وكرامته وإنسانيته التي تكفلها الشرائع الأزلية والسمائية كما سبق ذكره.

6- الصلح: التسامح في الخصومة (عبدالله، 2015) والتعامل مع الآخر بما يجلب المنفعة للبشر عامة: وحتى عندما يبغى العدو على الإنسان، فإنه يقاتله دفعاً للشر لا انتقاماً وحقداً، وذلك كما نقل الغزالي فإنه يظهر في سلوك النبي صلى الله عليه وسلم عندما طلب منه أن يدعو على المشركين ويلعنهم، فقال: "إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعناً" (الغزالي، 2003)، فلا خير في لعن الآخر وإن بغى، بل الدعاء له إن استجيب فإنه يحقق منفعة كل الأطراف ويعم به الخير الجميع.

7- التسامح مع الأقربين وأفراد المجتمع الواحد والتماس الأعذار لهم: فأولى الناس بالتسامح هم الأقربون، والتسامح بين أفراد المجتمع الواحد هو أساس وحدتهم وتحضرهم وتقديمهم ورفعتهم وتحقيق رفاهيتهم الاقتصادية ورخاءهم، وقد جاء في الحديث الشريف أن "نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسخ الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" (جنكو، 2015)، فإذا كان التسامح ضرورة حضارية إنسانية، فهو شرط اجتماعي لازم لكل مجتمع، لحمايته من الانهيار الداخلي، ثم المجتمعات المجاورة فالمجاورة.

8- التحكم بالنفس وعدم الانقياد إلى الغضب والكلام مدفوعاً أو متأثراً به: باعتبار الغضب مسبباً للحقد والحسد، وذلك مما يفسد قلب الإنسان ويهلكه، فيدفعه إلى الإساءة في القول والعمل، فلا يتحدث الإعلامي مدفوعاً بالغضب، فيتهور ويجر على نفسه ومجتمعه ضرر كلماته الغاضبة، فكانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم لسائله النصيح "لا تعضب" وكررها مراراً (خطاطبة، 2013). كما أورد الغزالي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول في خطبته: "أفح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب"، كما أورد عن الحسن رضي الله عنهما قوله في وصفه المسلم: "لا يغلبه الغضب، ولا تجمع به الحمية" (الغزالي، 2000).

9- العفو والتلطف بالقول عند الغلبة: فلا يشمت الإعلامي بالآخرين حال انتصاره أو تغلب مجتمعه أو دولته أو فريقه، وإن تعرض للظلم من الطرف الآخر قبل ذلك، وذلك كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة، إذ خاطب قومه الذين أخرجوه وتمالؤوا على قتله قبل ذلك: "أقول كما قال يوسف (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)".

10- الرفق: والرفق كما يعرفه العلماء هو "لين الجانب بالقول والفعل"، ويهمننا كإعلاميين جانب اللين في القول، وذلك مما يوحد المجتمع ويربط أفرادهم ويقوي ترابطهم، وفي ذلك وصف القرآن الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: "فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك"، وقد جاء في الحديث النبوي: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه"، وفي حديث آخر تشديد على أن الخير كله في الرفق، ولا خير مطلقاً دون الرفق: "من يحرم الرفق يحرم الخير كله"، لذا يتوجب أن يتلطف الإعلامي في حوار مع أفراد مجتمعه والمجتمعات الأخرى، وأن يكون ليناً لطيفاً مع مخالفه وفي أسلوبه عامة. ومثال ذلك أن النبي كان عليه دين لرجل، فجاء الرجل مطالباً بما له قائلاً: إنكم يا بني عبدالمطلب قوم مطل !! فلم يعجب قوله عمر بن الخطاب فانتهر الرجل وشدد عليه، لكن النبي صلى الله عليه وسلم تبسم واستوقفه قائلاً: "أنا وهو أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن الاقتضاء" (الأسمر، 2008).

## الخاتمة:

في الوقت الذي يشهد العالم انفجاراً في تكنولوجيا الاتصال وتحديات فرضتها وسائل التواصل الاجتماعي، يتمثل أبرزها في انتشار خطاب الكراهية، الأمر الذي حذر منه الأمين العام للأمم المتحدة، بالإضافة إلى موجات كراهية المهاجرين والنازحين، لذا فإن الإعلاميين مطالبين بنشر قيم التسامح وأهميته والتمثل به في سلوكياتهم ورسائلهم الإعلامية، وينطبق ذلك على كل مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي وشبكة الإنترنت وعلى أرض الواقع.



ويتجلى التسامح في الكثير من جوانب وأدبيات التراث الحضاري العربي والإسلامي، كالدعوة إلى الرفق وترك الغضب ولين القول وعدم رد الإساءة، إلى غير ذلك من المبادئ التي تمت الإشارة إليها في الورقة، والتي تناولت التسامح المرتبط بشكل مباشر بفعل الكلام، وإن كان التسامح أشمل وأعم من ذلك، ويشمل الفعل إلى جانب الكلام، وهذان النوعان من التسامح يعززان بعضهما البعض ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

بالرغم من الحملات والبرامج العديدة عالمياً التي تحث على التسامح ونبذ العنصرية، إلا أن الانتقال نحو مجتمعات متسامحة خالية من أشكال العنصرية كافة لم يتحقق بعد، وفي حين تتراجع العنصرية الموجهة نحو فئة من فئات المجتمع، فإنها تتحول نحو فئات أخرى لم تكن تعاني من العنصرية كثيراً قبل ذلك، مما يؤكد على أن التسامح يحتاج كمبدأ للمزيد من الجهود والمحاولات.

إن تحويل التسامح لأفعال وسلوكيات يتطلب في المقام الأول غرس المفاهيم الأخلاقية في نفوس أفراد المجتمع، وهنا يأتي دور الإعلام باعتبار ذلك من واجباته ومسؤولياتها الهامة، وحتى يقوم الإعلاميون بذلك، فإنهم في المقام الأول بحاجة لفهم مبدأ التسامح وخلفياته وأصوله في التراث الإنساني وفي التراث الحضاري الإسلامي الذي ينتمون إليه، وهناك الكثير من النصوص التراثية والحضارية التي تشير إلى هذا المبدأ وتؤكد عليه في منطقتنا العربية، مما يساعد في تثبيت هذا المبدأ نظرياً وعملياً باعتباره ليس غريباً على مجتمعات المنطقة وتراثها الحضاري.

#### المصادر:

- الأسمر، أحمد رجب. (2008). مكارم الأخلاق في الإسلام نظرية وتطبيقاً (الطبعة الأولى). عمان-الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع.
- المشاقبة، بسام عبدالرحمن. (2012). أخلاقيات العمل الإعلامي (الطبعة الأولى). عمان-الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- صالح، سليمان. (2014). أخلاقيات الإعلام (الطبعة الرابعة). عمان-الأردن: دار حنين للنشر والتوزيع.
- العوضي، عادل عبدالله، والعوضي، فايزة عبدالله (2006). جواهر الأخلاق والآداب الإسلامية (الطبعة الأولى). القاهرة: مركز الكتاب للنشر.
- عزي، عبدالرحمن. (2011). دعوة إلى فهم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام (الطبعة الأولى). تونس: الدار المتوسطة للنشر.
- الدليمي، عبدالرزاق. (2015). أخلاقيات الإعلام وتشريعاته في القرن الحادي والعشرين. عمان-الأردن: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.
- خطاطبة، عدنان. (2013). أخلاق الداعية في الإسلام وتطبيقاتها في الميدان الدعوي (الطبعة الأولى). العبدلي-الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- الغزالي، أبو حامد. (1980). إحياء علوم الدين (المجلد الثالث). بيروت: دار الكتاب العربي.
- الرازي، محمد بن أبي بكر. (2006). مختار الصحاح. بيروت-صيدا: المكتبة العصرية.
- عبدالله، محمد حمدون. (2015). المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم: عرض وتحليل الأصول الأخلاقية وأحكامها (الطبعة الأولى). عمان-الأردن: مركز الكتاب الأكاديمي.
- الغزالي، محمد. (2003). خلق المسلم (الطبعة العشرون). دمشق: دار القلم.
- رحماني، السعيد. (2013/1). التسامح بين الإسلام والمسيحية عند الشيخ محمد الغزالي. مجلة الدراسات الإسلامية. ص74-47.

زهور، عبدالصمد. (2018/6). في تقرير ما بين التسامح والمجتمع التراثي الإسلامي من اتصال. مجلة المستقبل العربي. ص45-53.  
بن سليمان، عمر. (2017/12). تأصيل مفهوم التسامح في التراث العربي والإسلامي. مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية. ص120-134.  
جنكو، علاء الدين. (2015/9). إشكالية التسامح في الفقه الإسلامي بين الواقع والمغالطات. مجلة البحث والدراسات. ص235-260.

#### مصادر الإنترنت:

جوتيريش يزور "مسجد النور" في نيوزلندا ويتعهد بمكافحة خطاب الكراهية / الاتحاد. (2019، مايو 14). استرجعت في تاريخ 26 سبتمبر 2019 من <https://www.alittihad.ae/article/29492/2019/> خطاب-الكراهية

سامح. الموسوعة العربية الشاملة / ما هو تعريف التسامح ؟ (2017، أبريل 19). استرجعت في تاريخ 27 سبتمبر 2019 من <https://www.mosoah.com/people-and-society/religion-and-spirituality/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%AD/>

#### الكتب والمجلات الإنجليزية:

Gerson, M. W. & Neilson, L. (2014, October 7). [journals.sagepub.com/](https://journals.sagepub.com/) The importance of identity development, principled moral reasoning, and empathy as predictors of openness to diversity in emerging adults. Retrived from: <https://journals.sagepub.com/doi/full/10.1177/2158244014553584>

Janmaat, J. G. & Keating, A. (2017). Are today's youth more tolerant? Trends in tolerance among young people in Britain. *Ethnicities*, 19(1) 44-56. DOI: 10.1177/1468796817723682.

Leslie, Z, Larry. (2000) *Mass Communication Ethics: Decision Making in Postmodern Culture*, (USA: Houghton Mifflin Company).

#### مصادر الإنترنت الإنجليزية:

Cambridge Dictionary. (n. d.). Retrived from <https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english-arabic/tolerance>

[portal.unesco.org /](http://portal.unesco.org/) UNESCO Declaration of Principles on Tolerance. (1995, November). Retrived from: [http://portal.unesco.org/en/ev.php-URL\\_ID=13175&URL\\_DO=DO\\_PRINTPAGE&URL\\_SECTION=201.html](http://portal.unesco.org/en/ev.php-URL_ID=13175&URL_DO=DO_PRINTPAGE&URL_SECTION=201.html)